الإمام الزركشي

أعــلام التفسيـر

الإمام الزركشي
وتفسيره: البرهان في علوم القرآن

أحد العلماء الأثبات الذين نجموا بمصر في القرن الثامن، وجهبذ من جهابذة أهل النظر وأرباب الاجتهاد، وهو أيضا علم من أعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين.

ولد بالقاهرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة حينما كانت معمورة بالمدارس، غاصة بالفضلاء وحملة العلم، زاخرة بدور الكتب الخاصة والعامة، والمساجد الحافلة بطلاب المعرفة، والوافدين من شتى الجهات، ولم يكد يجاوز سن الحداثة حتى انتظم في حلقات الدروس، وتفقه بمذهب الشافعي، وحفظ كتاب المنهاج في الفروع للإمام النووي، وصار يعرف بالمنهاجى نسبة إلى هذا الكتاب.

وكان الشيخ جمال الدين الإسنوي رئيس الشافعية بالديار المصرية بدر العلماء الزاهر، وكوكبهم المتألق، وإمام أهل الحديث بالمدرسة الكاملية غير مدافع، فلزمه وتلمذ له، ونهل من علمه ما شاء الله له أن ينهل، فكان من أنجب تلاميذه وأوعاهم، وأفضلهم وأذكاهم، كما تخرج على الشيخ سراج الدين البلقيني، والحافظ مغلطاي، وغيرهم من شيوخ مصر وعلمائها.

ثم ترامت إليه شهرة الشيخ شهاب الدين الأذرعي بحلب، والحافظ ابن كثير بدمشق فشد إليهما الرحال، قصد إلى حلب أولا حيث أخذ عن الأذرعي الفقه والأصول، ثم عمد إلى دمشق حيث تلقى على ابن كثير الحديث، ثم عاد إلى القاهرة وقد جمع أشتات العلوم، وأحاط بالأصول والفروع، وعرف الغامض والواضح، ووعى الغريب

والنادر، واستقصى الشاذ والمقيس، إلى ذكاء وفطنة، وثقافة والمعية، فأهله كل ذلك للفتيا والتدريس، والتوفر على الجمع والتصنيف، واجتمع له من المؤلفات في عمره القصير ما لم يجتمع لغيره من أفذاذ الرجال، وإن كان هذا الفضل لم يعرفه الناس إلا بعد وفاته، وحين توارت شمس حياته.

وكان رضى الخلق، محمود الخصال، عذب الشمائل، متواضعا رقيقا، يلبس الخلق من الثياب، ويرضى بالقليل من الزاد، لا يشغله عن العلم شيء من مطالب الدنيا، أو شئون الحياة.

قال ابن حجر: (وكان مقطعا في منزله لا يتردد إلى احد الا إلى سوق الكتب، وإذا حضر إليها لا يشترى شيئا، وإنما يطالع في حانوت الكتبي طول نهاره ومعه ظهور أوراق يعلق فيها ما يعجبه، ثم يرجع فينقله إلى تصانيفه) وحكى تلميذه شمس الدين البرماوي أنه كان منقطعا إلى الاشتغال بالعلم لا يشتغل عنه بشيء، وله أقارب يكفونه أمر دنياه.

وكان يكتب مصنفاته بنفسه، وخطه رديء جدا قل من يحسن استخراجه، كما أخبر بذلك ابن العماد، ولهذا شاع في الكتب المنقولة عن خطه الغموض والإبهام والتحريف والتصحيف، ولقي منها القراء والدارسون العناء الكثير.

وتولى من المناصب خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغرى.

وتوفى بمصر في رجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة، ودفن بالقرافة بالقرب من تربة بكتمر الساقي يرحمه الله.

مؤلفاته:

1 - الإجابة على إيراد ما استدركته عائشة على الصحابة.

2 - إعلام الساجد بأحكام المساجد.

3 - البحر المحيط في أصول الفقه.

4 - البرهان في علوم القران.

5 - تخريج أحاديث الشرح الكبير للرافعي، المسمى بكتاب فتح العزيز على كتاب الوجيز.

6 - تشنيف المسامع بجمع الجوامع.

7 - تفسير القرآن.

8 - تكملة شرح المنهاج للإمام النووي.

9 - التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح.

10 - خادم الرافعي والروضة في الفروع.

11 - خبايا الزوايا في الفروع.

12 - خلاصة الفنون الأربعة.

13 - الذهب الإبريز في تخريج أحاديث العزيز = تخريج أحاديث الرافعي.

14 - ربيع الغزلان.

15 - رسالة في كلمات التوحيد.

16 - زهر العريش في أحكام الحشيش.

17 - سلاسل الذهب في الأصول.

18 - شرح الأربعين النووية.

19 - شرح البخاري.

20 - شرح التنبيه للشيرازي.

22 - عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان لابن خلكان.

23 - الغرر السوافر فيما يحتاج إليه المسافر.

24 - فتاوى الزركشي.

25 - في أحكام التمني.

26 - القواعد في الفروع.

27 - اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة.

28 - لقطة العجلان وبلة الظمآن في أصول الفقه والحكمة والمنطق.

29 - مالا يسع المكلف جهله.

30 - مجموعة الزركشي - في فقه الشافعي.

31 - المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر.

32 - النكت على عمدة الأحكام.

33 - النكت على ابن الصلاح.

حول كتاب البرهان:

وكتاب البرهان في علوم القرآن من الكتب العتيدة التي جمعت عصارة أقوال المتقدمين، وصفوة آراء العلماء المحققين، حول القرآن الكريم، وكتاب الله الخالد، كسره على سبعة وأربعين نوعا، كل نوع يدور حول موضوع خاصً ا من علوم القرآن ومباحثه، يستأهل كل نوع أن يكون موضوعا خاص، حاول في كل موضوع أن يؤرخ له، ويحصى الكتب التي ألفت فيه، ويشير إلى العلماء والمحدثين، إلى مباحث الفقهاء والأصوليين، إلى قضايا المتكلمين وأصحاب الجدل، إلى مسائل العربية وآراء أرباب الفصاحة والبيان، فجاء كما شاء الله كتابا فريدا في فنه، شريفا في أغراضه، مع سداد المنهج، وعذوبة المورد، وغزارة المادة، بعيدا عن التعمية واللبس، ناوئا عن الحشو والفضول.

ولكن هذا الكتاب لم يكن معروفا عند الباحثين، ولا متداولا بين الطلاب والدارسين، عدا قلة من المشغوفين بمعرفة النوادر ورواد

المكتبات، شأنه شأن الكثير من كتب الزركشي على عظيم خطرها، وجلالة موضوعاتها، ومقدار غنائها ونفعها، حتى جاء جلال الدين السيوطي ووضع كتابه الإتقان، فدل الناس في مقدمته عليه، وأشاد به، وعده أصلا من الأصول التي بنى عليها كتابه، وتأسي طريقته، وتقيل مذهبه، وسار في الدرب الذي رسمه، ونقل كثيرا من فصوله، مرة معزوة إليه، ومرة بدون عزو، وإن كان فيما نقل عنه اقتضب الكلام اقتضابا، واختصره اختصارا، وبهذا ظفر كتاب الإتقان بمنزلة مرموقة عند العلماء، وغدا مرجعا للباحثين حقبة من الزمان، وظل كتاب البرهان متواريا عن العيان، مطمورا في زوايا النسيان [1].

* * *

(1) مقدمة تحقيق كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي للمحقق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م.
نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.